

قوم سبأ وسبيل العرم

بقلم: هارون يحيى



• لوحة معبرة عن حقبة من الزمن

استمرار هذه الحضارة صامدة لفترة طويلة.

وكان الجيش السبئي من أقوى جيوش ذلك الزمان وقد ضمن لحكامه امتدادا توسعيا جيدا فقد اجتاحت سبأ منطقة القتيبين وتمكنت من السيطرة على عدة مناطق في القارة الإفريقية وفي عام ٢٤ قبل الميلاد وأثناء إحدى الحملات على المغرب هزم الجيش السبئي جيش ماركوس إيلوس غالوس الروماني الذي كان يحكم مصر كجزء من الإمبراطورية الرومانية التي كانت أعظم قوة في ذلك الزمن دون منازع يمكن تصوير سبأ على أنها كانت بلادا معتدلة سياسيا إلا أنها ما كانت لتتأخر في استخدام القوة عند الضرورة. لقد كانت سبأ بجيشها وحضارتها المتقدمة من «القوى العظيمة» في ذلك الزمان.

وورد في القرآن ذكر جيش سبأ القوي وتظهر ثقة هذا الجيش بنفسه من خلال كلام قواد الجيش السبئي مع ملكهم كما ورد في سورة النمل:

«قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ» (النمل: ٣٣).

وكانت مأرب هي عاصمة سبأ وكانت غنية جدا والفضل يعود إلى موقعها الجغرافي فالعاصمة قريبة جدا من نهر الدهنا الذي كانت نقطة التقائه مع جبل بلق مناسبة جدا لبناء سد واستغل السبئيون هذه الميزة وبنوا سدا في تلك المنطقة حيث نشأت حضارتهم وبدؤوا يمارسون الري والزراعة وهكذا وصلوا إلى مستوى عال جدا من الازدهار.

هذه الحضارة قد تم إنشاؤها نحو ٧٠٠ قبل الميلاد فقط اعتمادا على هذا المصدر الوحيد لأن احتمال تشكل هذه الحضارة قبل ذلك وارد جدا وهذا يعني أن تاريخ سبأ قد يسبق هذا التاريخ وقد ورد في نقوش أراء نانا أحد ملوك مدينة أور المتأخرين كلمة «سابوم» والتي تعني «مدينة سبأ» وإذا صح تفسير هذه الكلمة على أنها مدينة سبأ فهذا يعني أن تاريخ سبأ يعود إلى ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

وتقول المصادر التاريخية التي تتحدث عن هذه الحضارة إنها كانت أشبه بالحضارة الفينيقية أغلب نشاطاتها تجارية لقد سيطر هؤلاء القوم على الطرق التجارية التي تمر عبر شمالي الجزيرة وكان على التجار السبئيين أن يأخذوا إذنا من الملك الأشوري سيرجون الثاني حاكم المنطقة التي تقع شمالي الجزيرة إذا ما أرادوا أن يصلوا بتجارهم إلى غزة والبحر المتوسط أو أن يدفعوا له ضريبة على تجارتهم وعندما بدأ هؤلاء التجار يدفع الضرائب للملك الأشوري دون أسهمهم في السجلات السنوية لتلك المنطقة.

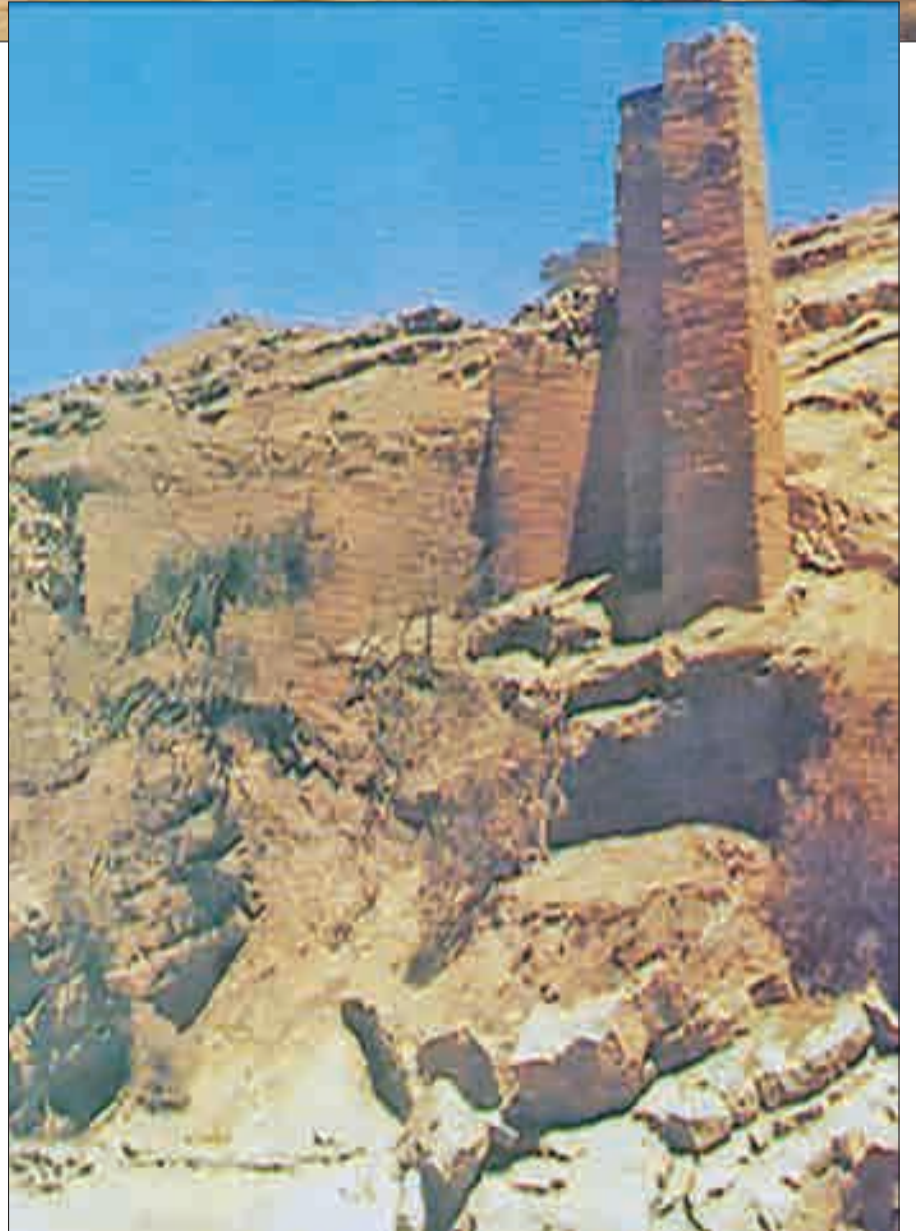
يعرف السبئيون من خلال التاريخ كقوم متحضرين تظهر كلمات مثل «استرجاع» «تكريس» «بناء» بشكل متكرر في نقوش حكاهم ويعتبر سد مأرب الذي كان أحد أهم معالم هذه الحضارة دليلا واضحا على المستوى الفني المتقدم الذي وصل إليه هؤلاء القوم إلا أن هذا لا يعني أنهم كانوا ضعفاء عسكريا فقد كان الجيش السبئي من أهم العوامل التي ضمنت

قال تعالى في كتابه العزيز: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ × فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ» (سبأ: ١٥-١٦).

يعتبر مجتمع سبأ واحداً من أكبر أربع حضارات عاشت في جنوبي الجزيرة العربية ويعتقد أن هؤلاء القوم قد أسسوا مجتمعهم ما بين ١٠٠٠-٧٥٠ قبل الميلاد وأنهارت حضارتهم حوالي ٥٥٠ بعد الميلاد بسبب الهجمات التي دامت قرنين والتي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والعرب.

وبقي تاريخ نشوء حضارة سبأ موضع خلاف حتى الآن فالسبئيون لم يشرعوا في كتابة تقاريرهم الحكومية حتى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد لذلك لا يوجد أي سجلات سابقة لهذا التاريخ.

ويعود أقدم المصادر التي تشير إلى قوم سبأ إلى سجلات الملك سيرجون الثاني الأشوري الحربية «٧٢٢-٧٠٥ قبل الميلاد» في تلك السجلات يشير الملك الأشوري في سجلاته التي دون فيها الأمم التي كانت تدفع له الضرائب إلى ملك سبأ «إبت عمارا». هذا أقدم مصدر يشير إلى الحضارة السبئية إلا أنه ليس من الصواب أن نستنتج أن



• آثار